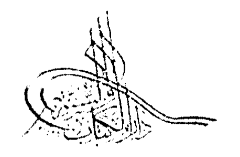
سبيل الرشاد
في هدى خير العباد

تأليف
العلامة المجدد الدكتور
محمد تقي الدين الهلالي المغربي

بسم الله الرحمن الرحيم

سبيل الرشاد
في هدى خير العباد



الطبعة الأولي 19 /2007/2

لـ دار الكتاب والسنة

رقم الإيداع بهيئة الكتب والوثائق القومية

2007/4659

دار الكتاب والسنة

للطباعة والنشر والتوزيع

المقر الرئيسي والإدارة ٩ شارع احمد اسماعيل متفرع من منشية التحرير من شارع جسر السويس عين شمس الشرقية – القاهرة جمهورية مصر العربية .

جوال : ٠٠٢٠١٠١٠٢١١٨٧ - ٠٠٢٠١٠٤٦٧١٤٣٩

فاكس : ٠٠٢٠١٠١٠٢١٠٥٢

موقعنا علي الإنترنت

www.dar-ketab-sunah.com

البريد الإلكتروني

Dar_alktabwalsunnah@hotmail.com

Dar_alketabwalsunnah@yahoo.com

info@dar-ketab-sunah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلاته وسلامه على نبينا محمد سيد المرسلين، وإمام المتقين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وعلى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعلينا معهم بفضلك يا أرحم الراحمين، سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

الفوائد أو الدروس التي نخرج بها من قوله تعالى في سورة يونس: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ

تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَى مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ٣١: ٣٧].

أولًا: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ :

أنه لا يرزق من السماء بالأمطار، ولا من الأرض بالنبات إلا الله وحده لا شريك له، فمن يذبح على قبور الصالحين ويطلب منهم المطر، فهو كافر مشرك، لا حظَّ له في الإسلام؛ لأنه كذب بالقرآن وزعم أن غير الله يرزق.

ثانيًا وثالثًا: ﴿أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾: فالسمع الله تعالى هو الذي أعطاه، الآذان التي نسمع بها الله تعالى هو الذي أعطاها، والعيون التي نبصر بها الله تعالى هو الذي أعطاها وهو الذي يحفظها، ولا يستطيع أن يتصرف فيها غيره أبدًا.

دَرَسْت ودَرَّسْت كثيرًا في المشرق، فقد رحلت إليه وأنا أبلغ من العمر ثمانية عشر عامًا، ورجعت إلى المغرب بعد ما بلغ الشيب مني ما بلغ، فحدثني مدرس

أعمى أنه أصابه مرض في عينيه، فأراد أن يذهب إلى طبيب مشهور في طب العيون، اسمه الدكتور محمود الهاشمي في بغداد، فأبى أبواه إلا أن يذهبا به إلى ضريح ومشهد موسى الكاظم رحمه الله، -ويعتبر عند الشيعة سابع الأئمة الاثنا عشرية، لأنه من أهل البيت، وقد بنوا على قبره قبة وجعلوا قبره محلًا يعبد فيه-، حيث يعتقدون فيه أنه يشفي المرضى، فما كان منه إلا أنه تبع والديه وأقاربه، فأخذوه إلى سادن قبر موسى الكاظم وهو أحد الدجالين هناك، ففرض عليهم أن يبقوه عنده أربعين يومًا، وأخبرهم أنه سيخرج بعدها مبصرًا كأن لم يكن به قذى.

فبقي هناك أربعين يومًا، وكل يوم يزداد الألم، فخرج أعمى وعمره ست عشرة سنة، فقال ذلك السادن الدجال: خذوه، الآن هو مبصر.

فقال للغلام: أتبصر؟ فقال: نعم، قالها خوفًا وخشية، فلما وصل إلى بيته أخذ أبوه قلمًا، وقال له ما هذا؟ قال: لا أراه، إنني أعمى وفي ظلمة تامة، ولا أبصر شيئًا.

فذهبوا به إلى الدكتور محمود الهاشمي، فقال لهم: فات الوقت، لا علاج له الآن.

فهؤلاء الدواب كانوا يظنون أن موسى الكاظم -وهو في الجنة عند مليك مقتدر إن شاء الله؛ لأنه مات شهيدًا من آل بيت النبي ﷺ، قتله الظالمون-، أن في يده السمع والبصر، وهو الذي أعطى البصر ويرد البصر، فهؤلاء كفار مكذبون بالقرآن، ولا عقل لهم ولا دين.

رابعًا وخامسًا: ﴿وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾:

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «يخرج الحبَّة من الزرع والزرع من الحبة، والنخلة من النواة والنواة من النخلة، والمؤمن من الكافر والكافر من المؤمن، والدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة، وما جرى هذا المجرى من جميع الأشياء»(١).

سادسًا: ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾:

أي: يدبر جميع أمور العباد أرزاقهم وأعمارهم وجميع

(١) تفسير ابن كثير عند تفسيره للآية ٢٦من آل عمران: ٢/ ٢٩ .

أحوالهم وهداية قلوبهم، فأمور العباد كاملة ما يدبرها إلا الله وحده لا شريك له، أما العباد فلا تدبير لهم، بل هم مدبرون، هم مسيرون لا مخيرون .

سابعًا: ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾:

هذا خطاب الرسول ﷺ لكفار مكة، إذ يقول لهم: من يقوم بكل هذه الأمور؟ فيقولون: لا يعملها إلا الله، لا ملائكة تقوم بها، ولا أنبياء ولا أصنام. فقل: إذا كنتم تعترفون بأن الله هو الذي يعملها ويقوم بها، فلما لا تتقوا الله وتتركوا التعلق بهذه الأصنام وهذه الملائكة وهؤلاء الصالحين، -مثل اللات، في قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾﴾ [النجم: ١٩: ٢٢] فاللات: رجل صالح -كما قال ابن عباس رضي الله عنهما- كان يلت السويق للحجاج[(١)]، فلما مات عكفوا على قبره، ثم صوروا صورته، فأصل عبادة الأوثان

(١) صحيح البخاري ح(٤٨٥٩). والسويق: ما يتخذ من القمح أو الشعير، وهو ما يسمى في الديار المشرقية بالبسيسة، ويسمونه أهل المغرب: الزليطة وتبل بالماء.

الغلو في الصالحين، والغلو في الصالحين يعني: اعتقاد تأثيرهم في الكون، وتصرفهم فيه كما يشاءون، وطلب الحاجات منهم.

﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾: فلماذا لا تعبدون الله وحده؟

إجابتهم لخصها الله في قوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ قل يا محمد: أتعبدون ما لا يضر ولا ينفع؟ فيقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، قل لهم يا محمد: ﴿أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ﴾ أي: أتخبرون الله ﴿بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: تنزيه لله تعالى وتنزيه له عن هذا الشرك العظيم.

الثامنة: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ بدأ خلق الدنيا كلها، وله سبحانه وتعالى إعادة الخلق بعد الفناء.

هذه التاسعة: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾ هل يوجد أحد غيره يهدي القلوب وينورها، إلا لله وحده لا شريك له.

قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ

ٱللَّهُۚ﴾ :

هذا خطاب من الله تعالى لنبيه؛ ليبين للناس كلهم أنك لا تملك لنفسك نفعًا ولا ضرًا، وما شاء الله يصيبك.

وفي قصة صفية التي تحدثنا عنها قبل ذلك دلالة على ما نقول، «..... رَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَطِيَّتَهُ، قَالَ: وَصَفِيَّةُ خَلْفَهُ قَدْ أَرْدَفَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَعَثَرَتْ مَطِيَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَصُرِعَ وَصُرِعَتْ. قَالَ: فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ النَّاسِ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَلَا إِلَيْهَا حَتَّى قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَسَتَرَهَا، قَالَ: فَأَتَيْنَاهُ فَقَالَ: «**لَمْ نُضَرَّ**». قَالَ: فَدَخَلْنَا الْمَدِينَةَ فَخَرَجَ جَوَارِي نِسَائِهِ يَتَرَاءَيْنَهَا وَيَشْمَتْنَ بِصَرْعَتِهَا»[1].

﴿وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ﴾ [الأعراف : ١٨٨] فيقع عليه الصلاة والسلام من على البعير هو وزوجه، هذا بعض من السوء، فلو كان النبي عليه الصلاة والسلام يعلم الغيب ما كان ركب البعير ولنزل ومشى حتى لا يوقعه البعير.

(١) صحيح مسلم: ح (١٣٦٥).

شيء آخر وهو أن جماعة كبيرة من الكفار المشركين عباد الأوثان جاءوا إلى النبي ﷺ، قالوا: يا رسول الله، نحن قبائل كثيرة قد أسلمنا، ونخاف إذا جئنا إلى المدينة بأهلنا كلهم نضيق عليكم الأرزاق ونوسخ المدينة. فنريد أن تبعث لنا جماعة كبيرة من العلماء، من القراء -القراء في ذاك الزمان ما هم بقراء زماننا هذا، الذين يقرءون على ميت بعرض من الدنيا، ولا يسحرون للناس، ولا فقه بواحد منهم بالقرآن الذي يقرأه أو الحديث الذي يعلمه، القراء هم أفضل الناس في ذاك الزمان، لأنهم يقرأون القرآن كما قرأ عبد الله بن مسعود: «ما كنا نتجاوز عشر آيات نتعلمها من النبي ﷺ حتى نتعلم معناها والعمل بها» فالصحابة ما كانوا يتعلمون تعلم هذا الزمان، من أجل قطعة خبز حقيرة، أو فلسات قليلة، إنما كانوا يتعلمون عشر آيات عشر آيات، حتى يعرفوا معناها ويعملوا بمقتضاها.

قال النبي ﷺ في دعائه: «**اللهم انفعني وارفعني بالقرآن العظيم، وبما فيه من آيات الذكر الحكيم، اللهم علمني منه ما جهلت، وارزقني تلاوته آناء الليل وأطراف**

النهار، واجعله حجة لي يا رب العالمين، اللهم انفعني وارفعني» قال عمر رضي الله عنه: «إن الله يرفع بهذا القرآن أقوامًا ويضع به آخرين»[(١)].

هذا القرآن من تعلمه لله تعالى الله رفعه به وأغناه، قال النبي ﷺ: **«من لم يستغن بالقرآن فلا أغناه الله»**[(٢)]، وهاكم قصة حدثت لشاب في المغرب تبين ما نقول: كان هناك رجل شاب فيلالي مغربي علم منا حرمة الأكل بالقرآن فرجع إلى خنيصرة بلد بالمغرب يكثر قراءة القرآن وتشيع، فجمع أموالًا كثيرة، ولكن ما أكل منها شيئًا، حتى آتاه وازع الله تعالى في قلبه فتصدق بها، فأنعم الله عليه ببيت ودكان وتجارة واسعة. هذا تصديق من الله تعالى لقول نبيه ﷺ: **«من لم يستغن بالقرآن فلا أغناه الله»**.

---

(١) صحيح مسلم: ح (١٣٥٣) عن عمر مرفوعًا إلى النبي ﷺ.

(٢) لم أجده بهذا اللفظ فيما بين يدي من كتب، ولكن في مسند أحمد: عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ **«ليس منا من لم يتغن بالقرآن»**. قال وكيع: يعني يستغني به.

الذي في جوفه القرآن ويكون فقيرًا الله لا يغنيه، ما يمكن فيه واحد يحفظ القرآن ويكون فقيرًا أبدًا، لكن كيف يعمل؟ لا يقرأه للناس، لكن يقرأه لله، إذا هو قرأه أمام الناس يكون لله، ويسمعهم لله، ويحيي به ليله في آخر الليل، يقوم ويصلي ركعتين أو أربع ركعات فيقرأ في كل ركعة ما تيسر من القرآن، ويدعو الله تعالى، وفي الصباح يذهب إلى موقف العمال، وسوف يرى، ستتفتح عليه أبواب الرزق، لأنه صان القرآن وعظمه، فالله تعالى يعظمه، أما من يظل يدور وينتظر الميت متى يموت، حينئذ يبشر بالفقر والهوان والذل.

قلنا: القراء بعثهم النبي ﷺ مع الكفار الذين ادعوا الإسلام وهم كاذبون ومخادعون، بعث معهم سبعين، كلهم يحفظون القرآن، ولما وصلوا إلى بلدهم قتلوا تسعة وستين، وتركوا واحدًا ليعلم الناس بالخبر، فجاء وأخبر النبي عليه الصلاة والسلام بأنهم غدروا وقتلوا القراء، وما بقي إلا واحد، فحزن عليهم النبي عليه الصلاة والسلام حزنًا عظيمًا، وقنت في كل صلاة حين يرفع رأسه من ركوع الركعة الأخيرة يقول: «اللهم العن

رعلًا -قبيلة- وذكوان -قبيلة- وعصية -قبيلة- عصت الله ورسوله»[١] وبقي شهرًا كاملًا في الصلوات الخمس: الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء يقنت عليهم، ويدعو عليهم الله، ويلعنهم، فأنزل الله تعالى عليه: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ لا تقنت عليهم، دعهم إلى الله تعالى، والذي يريد أن يتوب عليه يتوب عليه والذي يريد أن يعذبه يعذبه، وترك النبي القنوت وما عاد إليه حتى توفاه الله؛ ولذلك نقول: إن القنوت في الصبح غير مشروع، ولا في صلاة من الصلوات الخمس.

وعن أبي مالك الأشجعي قال: قلت يا أبي إنك صليت خلف رسول الله ﷺ، وخلف أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي هنا بالكوفة أكثر من خمس سنين أفكانوا يقنتون في الفجر؟ قال: أي بني، محدث[٢]، وفي رواية: بدعة. فالصحيح أن القنوت نسخ وتركه النبي ﷺ للأبد حتى توفاه الله تعالى.

---

(١) صحيح البخاري ح (٢٥٩١).

(٢) سنن الترمذي (٣٦٨)، وابن ماجه (١٢٣١).

محل الشاهد هو: لو كان النبي عليه الصلاة والسلام يعرف بأن أولئك الكفار كاذبون في ادعائهم الإسلام، وأنهم سيقتلون أصحابه كيف يبعثهم معهم، معناها أن النبي لا يعلم الغيب؟! ما علمه الله ذلك الأمر، وغيوب كثيرة علمه الله، وغيوب كثيرة ما علمها له الله سبحانه وتعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ .

قال تعالى: ﴿وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ أمره الله تعالى أن يقول: إني لا أعلم الغيب، أي كل غيب، ولا أقول لكم إني ملك، إن أتبع إلا ما يوحى إلي.

أنا كنت في الريف عند القاضي ووجدت عنده واحدًا من شيوخ الريف وتكلم في مسألة أن النبي يعلم الغيب، قلت: كيف عرفت أن النبي يعلم الغيب؟ ولا فرق بينه وبين الله في علم الغيب؟ وقلت: النبي ما كان يعلم، والله علمه، والله تعالى عالم من قبل، وإلا كل الذي يعرفه الله يعرفه النبي، وهذا غير صحيح، هذا الرجل لم أره لمدة طويلة ثم بعث لي أنه تاب مما كان يقوله عن علم النبي للغيب، هذا الرجل ضلله المضللون قبل ثم رجع للحق.

﴿ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ النبي عليه الصلاة والسلام لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا، إلا ما شاء الله أن يصيبه.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ فلذلك يجب أن نتوجه إلى الحي القيوم، النافع الضار، القابض الباسط، المحيي المميت، الذي هو على كل شيء قدير، في جميع حاجاتنا ولا ندعو أو نتوجه إلى غيره أبدًا.

قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.

قال المسمى بتقي الدين: في هذه الآية الكريمة أمر من الله تعالى لنبيه محمد ﷺ أن يخبر جميع الناس أنه لا يملك لنفسه - فكيف بغيره- ضرًّا ولا نفعًا، فما شاء الله كان من الضر والنفع: مثل السقوط من على البعير، ومثل ما قال كل القراء: هذا ضر شاءه الله تعالى ينزل لا بد منه، وما لم يشأ لم يكن، فهو مالك الملك، المتصرف في عباده .

وإذا كان أفضل خلق الله وأكرمهم على الله لا يملك

لنفسه ولا لغيره ضرًا ولا نفعًا، بطل كل ما بناه المشركون على أن الأولياء يعلمون الغيب ويقضون الحاجات كله يسقط ويتهدم.

قال الله تعالى في سورة يونس -عليه السلام-: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾:

من هم أولياء الله؟ ناس يقولون: أولياء الله الذين يمشون على الماء وما يغرقون، ويطيرون في الهواء، وقال المحققون من أهل التصوف: إن الشيطان يطير من المشرق إلى المغرب في لحظة واحدة، ويمشي على الماء ولا يغرق، والله تعالى ما قال هؤلاء هم أولياء الله، يقضون الحاجات، ويتصرفون في الكون، وإنما فسرهم سبحانه وتعالى بشيئين: الذين آمنوا، وكانوا يتقون.

الولي له شرطان: الإيمان والتقوى، كل من عنده إيمان وتقوى لله -قليل أو كثير- بحيث يصلي الصلوات الخمس، ويخاف الله في الجملة، وإن كان يرتكب معاصي، فهو ولي الله، لكن الولاية تتفاوت درجاتها كتفاوت درجات المؤمنين، فكل من كان أكثر إيمانًا

وأكثر تقوى فهو أعظم ولاية لله تعالى من غيره، مثلًا ماعز، هذا صحابي زنا، ارتكب فاحشة الزنا، وجاء إلى النبي عليه الصلاة والسلام، قال يا رسول الله، إني أصبت حدًا فأقمه علي، يعني معناها: قال للرسول أنا قدر الله علي أني زنيت، وأريد أن تعاقبني في الدنيا قبل الآخرة، أعرض عنه النبي عدة مرات، وجاءه ماعز أربع مرات، فقال له هل بعقلك شيء؟ قال والله يا رسول عقلي صحيح، لكن أريد عقاب الدنيا قبل أن أعاقب في الآخرة، فأمر به فأخذوه ورجموه بالحجارة، ضربوه بالحجارة على رأسه حتى مات، وهكذا شأن الزاني إذا كان تزوج، فعقابه في الإسلام أن يرمى على رأسه بالحجارة حتى يموت.

فهل ماعز ولي الله أم ليس بولي الله؟ ولي الله قطعًا، لأن ولايته لله تعالى هي التي حملته على أن يتحمل هذا الموت الشديد، وتاب إلى الله تعالى فتاب الله عليه، وصلى عليه النبي عليه الصلاة والسلام، لأنه عنده الإيمان، وعنده التقوى، بسبب هذا الإيمان والتقوى تاب من ذنبه .

وفي زمن النبي الكريم خرجت امرأة إلى صلاة الصبح، فاستعرض لها رجل غلبها على نفسها وزنا بها، وهرب، فمر عليها جماعة استغاثت بهم، يعني قالت: الحقوا هذا الرجل عمل في كذا وكذا، وانطلقوا يطلبونه، ومر بها شخص آخر استغاثت به، ورجع القوم فقالوا للرجل الواقف معها: أنت صاحبها، أنت الذي فعلت بها ذلك الفعل، قال: لا والله إنما هي استغاثت بي كما استغاثت بكم، فأخذوه إلى المسجد، الدنيا كانت غبشة الضوء ما هو موجود كثير، أخذوه إلى النبي عليه الصلاة والسلام، وأمر بإقامة الحد عليه، النبي أمر بعقابه، فقام رجل بعدما صلوا الصبح من آخر الصفوف وقال: يا رسول الله اتركه، خذني أنا أنا صاحب المرأة، أنا الذي عملت هذه الجريمة[١]، هذا الرجل من أولياء الله أم لا؟ هذه المرأة خارجة لصلاة الصبح مع النبي، والذي تعدى عليها وزنا بها ما يخلو من ولاية الله، وتلك الولاية وذاك الإيمان الذي عنده هو الذي جعله

---

(١) أبو داود (٣٨٠٦).

يقدم نفسه للعقاب، قال: أنا إذًا ما كفاني شيء، ارتكبت هذه الجريمة ويقتل هذا الرجل بسببي أنا، وأنا أبقى حي؟! أعاده إيمانه إلى الله تعالى، وقدَّم نفسه للعقاب والنبي عليه الصلاة والسلام سامحهم كلهم، ما عاقب ولا واحد، أما هذا فاعترف قبل ما يعرفه أحد، اعترف وأنقذ الرجل من الهلاك، وهذا الرجل بريء، والمرأة البريئة مغلوبة على نفسها، هؤلاء كلهم من أولياء الله .

ومن الذي قال لك: إن الأولياء يقضون الحاجات ويمشون على الماء؟ هذا كذب، هذا بهتان، الله تعالى يعطي الخوارق لمن يشاء، ولكن لا يعطيها إلا لمن أحبه، لا لمن أبغضه، هؤلاء نساك في الهند عباد للأوثان يحمون الحديد حتى لدرجة البياض، يمشون عليه بأقدامهم وما يحترقون!! نقول: هذا ولي الله أم ولي الشيطان؟ ولي الشيطان؛ لأنه كافر بالله، يعبد الأوثان ولا يؤمن بمحمد ولا بأي نبي.

قرأت أن الحاكم الإنجليزي في زمن الاستعمار سمع بهذا، وجاء وأحمى الناسك الوثني الحديد ومشى عليه بأقدامه وما احترق، وقال له الحاكم الإنجليزي وإذا أنا

مشيت معاك؟ ونزع الحاكم الإنجليزي حذاءه وجواربه، ومشى معه على الحديد المحمى إلى درجة البياض وما احترق؛ لأنه كان قد احتاط لنفسه بوضع شيء ما يحميه، ولكن شرط عليه ذاك الناسك -ذاك الهندي الوثني- قال له: أريد منك أن تمشي مرة أخرى ومشى أخرى فاحترقت قدماه، نقول ولي؟ الله أعطانا شروط الولاية وهي الإيمان والتقوى لله تعالى.

وقال الجنيد -رحمه الله- وهو سيد الفقهاء، وسيد المتصوفين: إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء، ويطير في الهواء فلا تعدوه شيئًا حتى تنظروا كيف إيمانه وكيف تقواه ومتابعته للرسول عليه الصلاة والسلام.

وقال الجنيد -رحمه الله-: أمرنا هذا -أي طريق الزهد- مبني على أربعة شروط:

الشرط الأول: اتباع السنة، ومعه معرفة السنة، فالذي ما يعرف كتب السنة، وهي ميراث النبي ﷺ، فقد قال بعض السلف لرجل: كيف أنت ها هنا وميراث محمد صلى الله عليه وسلم يقسم في المسجد، ميراث النبي هو: قال الله، قال رسول الله، لا قال خليل، ولا قال

ابن عاشور، لأن هذا يصيب ويخطئ الرسول ما يخطئ أبدًا، فالعلم قال الله، وقال رسوله قال الصحابة، العلم هو ثلاثة أمور: قال الله تعالى، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال أصحاب رسول الله، انتهى العلم .

وقال الشعبي -رحمه الله- ما حدثوك به عن رسول الله ﷺ فخذ به، وما حدثوك به عن أصحاب رسول الله فخذ به، وما قالوا فيه برأيهم فبل عليه، هذا التابعي الإمام الكبير قال: إن قالوا لك: قال رسول الله خذه، قال أصحابه خذه، والباقي بل عليه، إذن العلم قال الله، وقال رسول الله، وقال الصحابة، هذا هو العلم.

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾: أولياء الله، قلنا: ماعز من أولياء الله، والغامدية: -غامد قبيلة في نواحي الطائف إلى يومنا هذا تسمى غامد، لم يبدل اسمها، امرأة غامدية جاءت إلى النبي عليه الصلاة والسلام قالت: يا رسول الله، إني أصبت حدًا فأقمه علي فأعرض عنها، فجاءت من جهة أخرى فأعرض عنها، وجاءت من جهة أخرى، أربع مرات، لما اعترفت وأكدت الاعتراف أمر النبي عليه

الصلاة والسلام أن تشد عليها ثيابها، تتحزم على ثيابها ربما يحرقها الحجر على رأسها وتهرب أو تنكشف ثيابها، شدوا عليها ثيابها وأخذوها ورجموها بالحجارة حتى ماتت، فصلى عليها النبي ﷺ، هذه من أولياء الله أم لا؟ من أولياء الله، فقال عمر رضي الله عنه كيف تصلي عليها وقد زنت؟ قال النبي ﷺ إنها تابت توبة لو قسمت على سبعين منكم لوسعتهم، أراها تابت توبة لو كانت قسمت على سبعين من عصاة مرتكبي الكبائر كان الله يغفر لهم ذنوبهم، فهذا معنى أولياء الله.

قال الجنيد: أمرنا هذا مبني على أربعة أمور الأول اتباع السنة. فالذي يدعي أنه ولي وشيخ وما يعرف شيئًا عن حديث الرسول عليه الصلاة والسلام، ولا أدواته التي يعرف بها معناه هذا كاذب هذا من أولياء الشيطان.

قال الششتري: إذا لم يكن علم لديه بظاهر ولا باطن فاضرب به لجج البحر، هذا ليس من أولياء الله.

الجنيد يقول: لا بد من اتباع السنة. واتباع السنة لا بد له من معرفة السنة لازم يكون دارس كتاب الله وحديث الرسول عليه الصلاة والسلام.

الشرط الثاني: أكل الحلال: إذا كان كل من جاب له صدقة، أو جاب له هدية ولو كان ظالمًا، قتالًا، قطاع طريق، هذا كذاب، هذا ما هو من أولياء الله، هذا من أولياء الشيطان، ولي الله يعيش بالحلال، من عمل يده، قال النبي ﷺ: «**ما أكل أحد طعامًا خيرًا له من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده**»(١) يعني ما أحد أكل طعامًا أحسن مما يأكل من الشيء الذي عمله بيده من أجرة عمله، وعرق جبينه، ونبي الله داود كان يأكل من شغله مع أنه كان ملكًا، وعنده بيت المال، ولكنه كان يعمل في صناعة الدروع، كان يعمل سابغات، أي دروعًا سابغات وافيات، ﴿وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا﴾ فكان يعمل دروع يبيعها ويعيش منها .

وقال النبي ﷺ : «**لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي الجبل فيحتطب حزمة الحطب فيحملها فيبيعها، فيكف الله بها وجهه عن النار خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو**

---

(١) البخاري (١٩٣٠).

منعوه»[١] إذا ما لقي أحد عملًا ذهب إلى الجبل واحتطب حزمة حطب وأخذها للسوق وباعها، وعاش، باعده بها الله عن النار، لأنه إذا كان ما يقبل العمل ويمد يده هذا يريد أكل النار، وإذا اشتغل وكف نفسه عن الناس وعاش من الحلال ومن كسب يده الله تعالى يبعده عن النار، أحسن له من أن يسأل الناس حتى ولو أعطوه، ولا منعوه .

والنبي عليه الصلاة والسلام كان يرعى الغنم في مكة ويأخذ أجرتها ويعيش منها قبل ما يكون نبيًا، قبل ما يكون مشغولًا بأعباء الحكم والجهاد والنبوة، وما من نبي إلا رعى الغنم، موسى عليه السلام رعى الغنم لشعيب؛ لأن رعي الغنم فيه تدريب على رعي الناس؛ لأن الغنم فيها الضعيفة وفيها التي ستلد، وفيها الخرفان، فالذي لا يتصف بالحلم والصبر والرحمة في قلبه ما يقدر يرعى الغنم، يحطمها ويموتها، فالله تعالى جعل بعض الأنبياء -من كبار الأنبياء- كمحمد خاتم النبيين، وموسى عليه السلام، جعلهم يرعون الغنم قبل تحمل

(١) البخاري (١٣٧٧).

الرسالة -النبوة- فهذا هو طريق الشرف، وطريق الحق، طريق الأنبياء والمرسلين، وهو أن يعيش من كد يده .

ثم بعد ذلك لما اختارته خديجة الكبرى رضي الله عنها أن يكون وكيلًا لها على تجارتها إلى الشام، فسافر مع عبيدها، وضبط التجارة، وربحت ربحًا عظيمًا، ثم عرضت نفسها عليه أن يتزوجها، مع أنها كانت غنية، والكل يتمنى أن يبني بها، ولا تقبل حتى عرضت نفسها على النبي ﷺ، لما رأت فيه من الخير والبركة فكان تاجرًا، وكان يرعى الغنم، هذا طريق الشرف، طريق المعيشة الحلال .

وعلي بن أبي طالب ماذا كان يعمل؟ كان في حجر النبي عليه الصلاة والسلام؛ لأن أبا طالب كان عنده عشرة أولاد، وكان فقير الحال، وأقاربه كل واحد أخذ ولدًا، والنبي أخذ واحدًا، وهو علي، هو زوج فاطمة، وابن عم النبي عليه الصلاة والسلام، ولما قدر على الشغل راح اشتغل عند من؟ عند اليهود، راح اشتغل عند اليهود، كل دلو بتمرة حتى يشق طريقه، حتى تنجلي يده، ولما يرجع البيت يقول له النبي عليه الصلاة

والسلام أرني، فيأخذ تلك التمرات ويأكل له واحدة حتى يشجعه على العمل، ما راح للناس وقال لهم: أنا ابن عم النبي، ولماذا تتركوني أشتغل مع اليهود، ما هو عيب عليكم؟ مثل ما في هذا الزمن يأخذ على النسب، أعطني على جدي، هو صحيح جدك، هذا جدك النبي، وهذا جدك علي بن أبي طالب، هذا شغلهم، أنت لو كنت حقيقة فرحًا مسرورًا بهذا النسب ما تبيعه أبدًا، ولا تأكل به.

بعد ذلك نشأ علي وصار رجلًا، أعطاه النبي ناقة، وناقة جاءت له من الغنيمة، صار يحتطب الحطب ويأتي الحدادين، في ذاك الزمن ما كان الفحم موجودًا، يحضر الحطب للحدادين يشترونه منه، وواعده النبي عليه الصلاة والسلام بفاطمة عليها السلام يعطيها له، أعطاها لهذا الفقير، فراح اشتغل، وفي يوم من الأيام وهو يحزم الحطب ويحطها على الجمل، جاء حمزة عم النبي عليه الصلاة والسلام، وكانت الخمر ما حرمت، كانت الخمر حلالًا في ذاك الزمان، وحمزة شرب الخمر وسكر وجاءت بنات يضربن بالدفوف، قال: لا يا حمزة

الشرب في الوقوف، يا حمزة ما تنحرهم لنا نأكلهم، قام هو نحرهم، ولما جاب علي الحبال قام الناس يأكلون اللحم، وراح النبي يبكي، هذا كل ما عنده في الدنيا، النبي عليه الصلاة والسلام جاء لحمزة قال: ماذا صنعت؟ هذا حمزة سكران قال: وهل أنتم إلا عبيد لأبي؟ أنتم كلكم عبيد أبويا.

محل الشاهد أن عليًا اشتغل، النبي اشتغل، والذي هو حقًا من آل البيت وما يرضى أبدًا يأكل من بيت أبيه، ويقول: أنا أفضل منكم، يتواضع كما تواضع جده المصطفى، قال الله تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ اخفض جناحك كما خفض جناحه النبي عليه الصلاة والسلام، ولا يتظاهر بالنسب، ولا يفتخر بالنسب أبدًا، هذا هو الذي تبع النبي عليه الصلاة والسلام، وهذا هو أفضل من غيره؛ لأن آل بيت النبي محبتهم واجبة إذا اتبعوا النبي، ووحدوا الله، ما يبلغهم أحد؛ لأنهم إذا كانوا علماء وحكماء وتبعوا الرسول فهم سادة الناس، والله تعالى يزرع محبتهم في قلوب الناس، وإذا سلكوا الطريق الذي ما يرضاه الله ولا رسوله فهذا طريق خبيث

جدًا.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا وإياكم لمحبة الله ورسولة، ولاتباع كتاب الله وسنة رسوله، ويحفظنا من المخالفات، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، ونسأله سبحانه وتعالى أن يبارك حياة مليكنا الحسن الثاني، ويوفقه للخير، ويعينه عليه، وأن يوفق جميع أمراء المسلمين وملوكهم، وأن ينقذ الأرض المقدسة، ويردها للمسلمين، وأن ينصر الإسلام، ويجمع قلوب المسلمين على الحق والدين، والحمد لله رب العالمين.

